كلمة السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي "يحفظه الله"

بمناسبة يوم الولاية

الأربعاء ١٨ ذو الحجة ١٤٣٨ هـ ٩ أغسطس ٢٠١٧ م

ثقافة الغدير ومعنى الولاية

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنتَجِبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، شَعْبَنَا الْيَمَنِي الْمُسْلِمَ الْعَزِيزِ، أُمَّتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ
السَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ؛؛؛

يحتفل شعبنا اليمني مع كثير من المؤمنين في شتى أقطار العالم، في هذا اليوم المبارك، بمناسبة عظيمة لها شأنها الكبير ومنزلتها الرفيعة في الإسلام، هذا اليوم الذي عرف بيوم الغدير هو: يوم الولاية، اليوم الذي أعلن فيه الرسول "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" على رؤوس الأشهاد (في غدير خم) ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عَلَيْهِ السَّلَامُ" وهذه المناسبة اعتاد شعبنا اليمني عبر الأجيال أن يحتفل بها على نحو متميز، وأن يستقبلها بحفاوة كبيرة، فعادةً يتجمع الأهالي، يتجمع الناس (في المناطق، في القرى، في المدن) في كثير من المناطق، ويحيون هذه المناسبة بالكلمات، كذلك بالقصائد الشعرية، بالزوامل الشعبية... إلى

غير ذلك. ويجعلون منها مناسبة فرح، ومناسبة يستبشرون بها، ويتوجهون فيها إلى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" بالشكر، ويؤكدون فيها- كذلك- ولاءهم للإمام عليّ "عَلَيْهِ السَّلَامُ".

ولهذه الذكرى أهمية من جوانب كثيرة، ومن أجمل ما حافظ عليه شعبنا اليمني من موروثة الإيمان والديني- بسبب أصالته والتزامه بهذه الأصالة، واستمراريته على هذه الأصالة- احتفاله بهذه المناسبة، بالرغم من محاولات كبيرة جداً من قوى التكفير (القوى التكفيرية الوهابية) في السعي لإلغاء هذه الفعالية وهذه المناسبة فيما مضى على مدى سنوات، ولكنهم فشلوا؛ لأن شعبنا اليمني إنما يحييها امتداداً لأصالته المبدئية، ووعيه العميق، وإيمانه الراسخ بالمبادئ التي يحملها.

يوم البهجة والسرور بإكمال الدين وإتمام النعمة

الاحتفال بهذه المناسبة له أهمية من جوانب كثيرة، واليوم هو يوم عظيم في الإسلام، يوم له شأن كبير، ليس هناك ما يمكن أن يقدم لنا، ويبين لنا، ويكشف لنا عن مستوى أهمية هذا اليوم، وعظمة هذا اليوم، وجلالة قدر هذا اليوم في الإسلام، مثل قوله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في كتابه

الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَمَرْضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

الآية 3، هذه الآية الكريمة، هذا النص القرآني العظيم، كان في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، في المناسبة نفسها، في الحادثة نفسها، يوم البلاغ التاريخي العظيم، الذي بلغه الرسول "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" على رؤوس الأشهاد في الأمة الإسلامية، ليبقى بلاغاً تتناقله الأجيال إلى قيام الساعة.

هذا اليوم له هذه العظمة، له هذه الأهمية، له هذه المكانة، له هذه القيمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَمَرْضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية 3]، في الميزان الديني،

في الاعتبار الديني، في القيمة الدينية، وهي الأساس بالنسبة لنا كمسلمين؛ باعتبار هويتنا الإسلامية، بهذا الاعتبار، بهذا الميزان، من هذا المنظور، لهذا اليوم هذه الأهمية الكبيرة (يوم

أكمل الله فيه الدين) بكل ما لهذا من أهمية كبيرة جداً، ويمكن للكلام أن يطول جداً حول هذه النقطة بالذات، لو اتسع الإنسان، لكن مثل هذا الكلام لا تتسع له محاضرة، أو كلمة، أو ما يلقى في فعالية أو مناسبة. مثل هذا يقدم في دروس، في محاضرات.

يوم أكمل الله فيه الدين، وأتم فيه النعمة، وارتضى لنا فيه الإسلام ديناً؛ بعد أن أكمله وأتمه بكمال الدين، وبتمام النعمة نحتفل في هذه الذكرى، نبتهج بهذه الذكرى، وحقُّ لأمة تعي قيمة الدين، قيمة الإسلام، عظمة النعمة الإلهية للهدى والإسلام، بما فيه من مبادئ، بما فيه من قيم، بما فيه من نهج قويم تصلح به حياة البشرية، إن تمسكت به، إن سارت عليه، إن التزمت به؛ يبني واقعها على نحوٍ فريدٍ ومتميزٍ، يكفل لها العزة والخير والسعادة والفلاح في الدنيا، والفوز والنجاة يوم القيامة.

فذلك يحق ليومٍ له هذا الشأن، له هذه الأهمية، له هذه القيمة (يوم إكمال الدين، يوم تمام النعمة) أن نبتهج به، أن نشكر الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" ونعترف له بعظيم النعمة والمنّة؛ حتى لا نكون من الجاحدين، من الكافرين بنعمه، من المتجاهلين لفضله، من الذين لا يلتفتون إلى ما قدمه لنا، وأنعم به علينا، وأتاح لنا في هذه الحياة، في هذا الوجود، بما يكفل لنا، إن نحن تفاعلنا وأقبلنا وارتبطنا وانسجمنا وتفاعلنا كما ينبغي؛ يكفل لنا الخير كل الخير، والفوز كل الفوز، والفلاح كل الفلاح.

شعبنا اليمني، هذه المناسبة بالنسبة له ليست دخيلة، وليست طارئة، وليست بدعة، بل مناسبة اعتاد عبر الأجيال وتناقل عبر الأجيال الاحتفاء بها؛ كما قلنا لأصالته الإيمانية: يمن الإيمان (الإيمان يمان)، هذا من الإيمان، هذا جانب من جوانب إيمانه.

ثم الاحتفال بهذه الذكرى له أهمية كبيرة جداً؛ لأنه عملية توثيقية وتبليغية: عملية توثيقية تنتقلها الأجيال لذلك البلاغ العظيم المهم، فهو عملية توثيق ومحافظة؛ حتى يبقى هذا البلاغ منتقلاً من جيلٍ إلى جيل، وتتوارث الأجيال نقله وإيصاله، فيبقى صوت النبي "صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" يبقى بلاغه ونداؤه وإقامته الحجة لله على عباده، يبقى منتقلاً بين الأمة، بين المؤمنين، من جيلٍ إلى جيل، يرثه الصغار من الكبار... وهكذا. عملية توثيقية مهمة، وأسلوب

عظيم في الحفاظ على نص من أهم النصوص الإسلامية، من أهم النصوص النبوية، من أهم المبادئ الإسلامية، ونص يلقي محاربة شرسة وحقداً كبيراً وانزعاجاً شديداً من قوى أخرى، نتحدث عن هذا أثناء حديثنا إن شاء الله.

أرقى تعبير عن عظمة وأهمية المناسبة

أما مستوى الأهمية للمحتوى (محتوى الذكرى، وما كان في هذه الذكرى)، فكذلك- مهما قلنا- يبقى تعبيرنا ناقصاً وقاصراً وضعيفاً في محدودية واقعنا البشري، ومستوى قدراتنا البشرية في: (التعبير، والبيان، والفهم، والاستيعاب)، لكن ما هناك ما يمكن أن يقدم المسألة بمستواها في عظمها وأهميتها وما تدل عليه مثل النص القرآني، الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" قال في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رَسُولَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿المائدة: الآية ٦٧﴾، هذه الآية المباركة أمرت النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"

أمر من الله، وتوجيه من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أن يبلغ أمراً أوحاه الله إليه، له في أهميته داخل الرسالة الإلهية، وفي مضمون الرسالة الإلهية، وضمن التشريع الإلهي والتوجيهات الإلهية بالغ الأهمية لهذه الدرجة: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رَسُولَهُ﴾، من المدهش أن هذا التوجيه الإلهي للنبي

"صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" أتى في آخر أيام حياته، يعني: ما قبل وفاة النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" بأقل من ثلاثة أشهر، وبعد أن كان النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" قد قطع الشوط الأكبر من تبليغ الرسالة، بدءاً بالقضايا الرئيسية جداً في الرسالة، مثلاً: مسألة التوحيد، ومحاربة الشرك، ومسائل مهمة جداً، ذات حساسية كبيرة بين أوساط المجتمع العربي وغيره، وذات أهمية كبيرة في منزلتها في الدين، وأهميتها الجوهرية في الدين نفسه.

الرسول "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" طوال بعثته، منذ أن بعثه الله رسولاً إلى الأمة، إلى العالمين، منذ بداية نشاطه التبليغي، وعمله الدؤوب لتبليغ رسالات الله وإقامة دين الله، كان قد قدم معظم ما يتعلق بالشرعية الإسلامية والتعاليم الإسلامية، فيما يتعلق منها بالعقيدة الإسلامية،

بدءاً من معرفة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في كل ما يتصل بذلك، ثم فيما يتعلق بالشرع الإسلامي، الأحكام الإسلامية، الفرائض والشرائع، العبادات والمعاملات... قد بلغ تبليغاً واسعاً، وشمل تبليغه ما تحتاج إليه الأمة من ذلك.

بعد كل هذا، وفي أواخر أيام حياته يأتي هذا النص القرآني، الذي يأمره أن يبلغ أمراً ما، هذا الأمر لو لم يبلغه لاعتبر كما لم يبلغ رسالات الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في كل ما قد بلغه منها، لاحظوا، هذا هو ما يمكن أن نستوعب- إن تأملنا وإن تفهمنا- مستوى الأهمية الكبيرة جداً لبلاغ يوم الغدير، وكيف يجب أن نتعاطى معه نحن بهذه الأهمية، أن نفتح عليه في تفهمنا وفي تأملنا، في تركيزنا بمستوى هذه الأهمية، ولا نمر عليه كنصٍ عاديٍّ، وكحدثٍ عاديٍّ، وككلامٍ عابرٍ لا نعطي له ما ينبغي التركيز عليه فيه والتأمل له.

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ مَرَسُولَهُ﴾ ، ما يتعلق بالشرائع، والمعاملات، والعبادات، والاعتقادات، قد بلغها، ما يتعلق بالمواقف، بما في ذلك المواقف من أعداء الإسلام الذين حاربوه: سواءً في واقع المشركين من العرب، أو فيما يتعلق باليهود الذين حاربوا الإسلام وكانوا أعداء أشداء وألداء لهذا الدين، أو الذين حاربوه- أيضاً- من النصارى، كانت المواقف تجاههم مواقف واضحة ومعروفة، ولم يكن ثمة جديد فيما يخص هذا الموضوع: موضوع العلاقات، موضوع المواقف من كل القوى التي تحارب الإسلام وتعادي الإسلام، وتسعى لطمس معالم الإسلام، كانت المواقف واضحة منها وصريحة جداً، مثلاً: المواقف مع اليهود منذ مراحل مبكرة، منذ بداية الصراع معهم، منذ بدايته مع بني النضير، إلى آخر الأحداث مع اليهود في خيبر مثلاً في السنة السادسة للهجرة... إلى غير ذلك. فكل تلك المسائل: (الاعتقادات، المعاملات، العبادات، العلاقات، المواقف) قد تضمنها التبليغ فيما مضى في المرحلة الماضية، فبقي هناك أمر واحد.

هذه الآية المباركة متى نزلت على النبي "صَلَّوْا تُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"؟ نزلت عليه يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وهو عائد من مكة إلى المدينة، عائد من حجة الوداع، فما هو أمر الولاية، ما هي حكاية الولاية، ما هو نص الولاية، ما هي القصة؟

يوم الولاية.. أصل الحكاية

النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" حج ما عرف بين أوساط المسلمين في السيرة والتاريخ بحجة الوداع، حجة الوداع كانت في العام الأخير من حياة النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" يعني: أواخر السنة العاشرة، النبي دخل في السنة الحادية عشرة لم يلبث فيها إلا شهر محرم وصفر، على اختلاف الأخبار في أنه: (هل توفي في اليوم الأخير من شهر صفر، أم في بداية ربيع؟).

على كل النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" حج هذه الحجة التي سميت بحجة الوداع، أعلن فيها للأمة تأهبه للعروج إلى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" للرحيل من هذه الدنيا الفانية، وأن مهمته الكبرى في: (إبلاغ رسالات الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وإقامة دين الله "جَلَّ وَعَلَا" ومحاربة الظلام والضلال والباطل والكفر والإجرام والطغيان، وإقامة الحق وإحقاقه، وإقامة العدل في الحياة)، هذه المهمة- بالنسبة له- قد اكتملت، لم يبقَ له إلا الشيء اليسير ثم يرحل من هذه الحياة، ولذلك تلك الرحلة: سواءً فيما تضمنته من إعلانات، وكذلك نصوص مهمة أثناء حجة الوداع نفسها، أو في الطريق. النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" عاد من رحلته تلك وقد أتم مهمته، ما كان منها في أثناء الحج، في صعيد عرفات في خطبته الشهيرة، ما كان منها في طريقه عائداً من مكة، وسيأتي الحديث عن هذه المحطة (محطة غدِير خم).

في عودة النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" من حجة الوداع، وقد ودّع الأمة في ذلك اليوم، نزل عليه قول الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى": ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

مِرْسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿[المائدة: الآية ٦٧]، الآية في مضمونها- على حسب

التعبير المعتاد- ساخنة، قوية في مضمونها وتعبيرها وأسلوبها، يعني: أتت تأكيداً على النبي

"صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" فيها بشكل كبير، بشكل عجيب: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ

فَمَا بَلَغْتَ مِرْسَالَتَهُ ﴿[المائدة: من الآية ٦٧] وأرقت بضمانة للحماية الإلهية، كالضمانة التي أعطها الله لموسى

وهارون في ذهابهما إلى فرعون، ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَمْرِي﴾ [طه: من الآية ٤٦]، هنا ضمانه

إلهية: ﴿وَاللَّهُ يُعَصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: من الآية ٦٧]، من المؤكد أن النبي "صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" كان

دائماً في حالة استعداد تام للتضحية في سبيل الله "جلَّ شأنه" ولم يكن ليتردد عن إبلاغ أي شيء من أوامر الله وتوجيهات الله ودين الله نتيجة مخاوف من الناس. إلا| هو كان منذ البداية، ولكن هنا كان لهذه القضية شيء من الخصوصية، لربما أكثر من مسألة القتل، لربما أكثر من مسألة الاغتيال، لربما أكثر من المخاوف في أن يُعاجل بالتصفية قبل أن يتم عملية البلاغ، أو أن يتعرض لإساءات كبيرة تمسّ بعرضه، تمسّ بكرامته، تمسّ بمقامه في أوساط الأمة، من خلال توجيه الإساءات إليه، والاتهامات إليه بالمحاباة والإيثار لعلي بن أبي طالب لاعتبارات أخرى.

حساسية المسألة والضمانة الإلهية

النبي "صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" تلقى هنا ضمانه من الله: ﴿وَاللَّهُ يُعَصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، في

مرحلة الوسط الذي سيقدم فيه هذا البلاغ هو وسط إسلامي، ليس فيه أحدٌ من المشركين، تلك الجموع الغفيرة العائدة من الحج، والتي جُمعت في مفترق الطرق، قبل أن تتفرق نحو الآفاق التي أتت منها إلى الحج، تلك الجموع الغفيرة من المسلمين، ولكن هذا يدل على حساسية المسألة، والتي بقيت حساسة- أصلاً- في الوسط الإسلامي على طول التاريخ، بقيت حساسة دائماً، والنظرة إليها والتعاطي معها بحساسية مفرطة جداً جداً، هذا يجعلنا مثلاً: نستشعر حساسية تلك الظروف التي عاشها النبي "صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" ما قبل تقديم البلاغ، وأثناء تبليغه البلاغ، ولذلك أعطي تأكيداً كبيراً من جانب، يترافق مع هذا التأكيد الكبير ضمانه إلهية بالحماية له، والحماية لمقامه "صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" في أوساط الأمة، وفعلاً تحقق ذلك، لم يجرؤ أحد على الإساءة إليه بما يؤثر على مكانته في أوساط الأمة. لا، إن كان هناك مواقف فهي ضعيفة جداً، لم يكن لها أي تأثير أبداً، يعني: كان الحالة السائدة ما بعد التبليغ هي حالة الهدوء، لم يترتب على هذا البلاغ وهذا الإعلان أي مشاكل في وسط الساحة الإسلامية آنذاك، الكل هدأ ما بين مرتاح وما بين ساكت، ما ترتب على هذا، مثلاً: كان هناك- ربما-

احتمالات أن يترتب على هذا الإبلاغ مشاكل داخلية في الساحة الإسلامية، واحتجاجات من البعض، واعتراضات من البعض، ونزاعات من البعض، لكن |إلا| تحققت الإرادة الإلهية والوعد الإلهي بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ، فالساحة بقيت عادية، ومتماسكة،

ومستقرة، وهادئة.

النبي الكريم.. والبلاغ التاريخي العظيم

النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" جمع الناس (في غدير خم) في تلك المنطقة، أثناء عودته من مكة عائداً إلى المدينة، وجمع الآلاف المؤلفة من الحجاج المسلمين العائدين إلى مناطقهم، والذين سيسهمون بشكل كبير في نقل هذا البلاغ إلى مناطقهم، جُمعوا، وفي وقت وبأسلوب أشبه ما يكون بحالة نفير؛ لأن الحالة كانت أثناء الظهيرة، أوقفت الجموع التي لا زالت متحركة، استدعيت الجموع التي كانت متقدمة شيئاً ما، جمع الكل في صحراء واحدة، في ساحة واحدة، في مكان واحد واضح، لم يكن فيه أي عوامل يمكن أن تمثل عائقاً: إما عن رؤية النبي، أو عن سماعه، حضر الكل في حالة استدعاء عاجل وملفت وطارئ، تُرى ماذا هناك؟ ماذا يريد النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"؟ وأثناء الظهيرة قام النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" بعد أن رصت له أقتاب الإبل ليصعد عليها، وأصعد معه علياً "عَلَيْهِ السَّلَامُ" على نفس الأقتاب، ثم وجّه خطابه إلى الأمة، وأبلغ ما أمره الله بإبلاغه، بعد حديث هيا فيه الذهنية العامة للمستمعين لما سيقدمه إليهم، وبكل ما يساهم على لفت الأنظار، وعلى جلب التركيز والانتباه، وعلى جلب حالة الإصغاء والتفهم، يعني: النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" أدى مهمته على أكمل وجه، وأتمّ ما ينبغي، لا نقص، لا في مستوى التبليغ، ولا في طريقة التبليغ، ولا في إعطاء التبليغ جواً يساعد على إدراك أهميته والاتفات إلى أهميته؛ فتحدث بخطاب شهير، ثم وصل إلى الموضوع الرئيسي في الخطاب، فقال "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ": ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ))، وكان علي "عَلَيْهِ السَّلَامُ" إلى جانبه، وأخذ بيد الإمام علي "عَلَيْهِ السَّلَامُ" ورفع يده أمام الحضور، الآلاف المؤلفة من

المسلمين، ((فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ)).

هذا النص وهذه الواقعة توارثتها الأمة الإسلامية، وهي في نفسها من الثوابت المعترف بها بين أبناء الأمة، الفريقين والجمهوريين الرئيسيين في الأمة، كما يقال: (الشيعة، والسنة) الكل توارثوا هذه الحادثة بنفسها، وهذا النص: ((فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ))، توارثته الأمة بأكملها؛ فأصبح من المتواتر بين الأمة، والثابت بين الأمة.

النص الجلي في ولاية الإمام علي

الرسول "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" عندما قدّم هذا النص كان إلى جانب هذه العملية التوضيحية التبليغية التي قدمت في جو عملي، واضح، بيّن، لا لبس فيه، ولا غموض فيه، ولا أي شيء يمكن أن ينقص من كونه بلاغاً مبيناً واضحاً، ونصاً صريحاً بيّناً، هناك أيضاً النص القرآني الذي يرتبط كل الارتباط مع هذا النص من النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" مع هذا البلاغ التوضيحي الذي ترافق معه أداء عملي واضح، يعني: أخذ الإمام علي "عَلَيْهِ السَّلَامُ" إلى فوق أقتاب الإبل، وإصعاده معه، الأخذ بيده، الإشارة إليه، وتقديمه بشخصه واسمه بشكل واضح إلى الأمة.

النص القرآني، هو قول الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى": ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُرَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْغَالِبُونَ ﴿المائدة: ٥٥-٥٦﴾، يأتي النص القرآني إلى جانب النص النبوي والعملية التبليغية التي شهدت

أداءً عملياً من النبي: كلاماً، رافقه تصرف معين، تصرف عملي: إصعاد الإمام علي، تقديمه بشخصه واسمه (فَهَذَا) وهو عنده وأخذ بيده (عَلِيٌّ) باسمه (مَوْلَاهُ) نقول عنها: أنها فعلاً متطابقة مع مستوى ما أعطاه النبي نفسه الآية القرآنية والتوجيه الإلهي من الاهتمام، يعني: أن النبي "صلوات الله عليه وآله" لم يقصر أبداً في أن يقدم المسألة بما تستحقه من الأهمية، وبما

تقدمه الآية وتوحي به الآية من هذه الأهمية ومستوى هذه الأهمية، أكمل، مؤهل من الله (سيد الرسل، وخاتم النبيين)؛ فأنفذ مهمته على أتم ما يكون، نشهد له بذلك، نحن نشهد للرسول "صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" بأنه بلغ ما أنزل إليه تمام البلاغ، وأقام الحجة وأوضح المحجة، وأنه لم يقصر ولم ينقص، وأنه لم يشب بيانه أي التباس، ولا أي غموض؛ فهو لم يقصر أبداً، ما هناك أي تقصير من جانبه على الإطلاق.

هذه الحادثة والواقعة المهمة جداً التي شهدت هذا البلاغ الكبير والمهم، والذي لم يكتمل للنبي من بعده ثلاثة أشهر حتى توفي، عاد إلى المدينة، بقي فقط حتى دخلت السنة الحادية عشرة من الهجرة، وتوفي إما في آخر يوم من صفر، أو في بداية شهر ربيع الأول منها.

على كل، الرسول "صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" قدّم هذا النص للأمة؛ ليبقى بلاغاً لأجيال الأمة بأكملها، ومن الدلائل العجيبة، والاعتبارات المهمة: أن هذا النص بقي- فعلاً- متوارثاً بين المسلمين، وحظي باهتمام كبير في النقل بما يحفظه لكل الأجيال.

ماذا تعني الولاية؟

يبقى لنا الآن أن نتحدث عن الولاية، ما هي الولاية؟ طبعاً الحساسية كبيرة حول هذا الموضوع، ومن الطبيعي أن تكون حساسة ما دام المسألة كان فيها آنذاك: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

الناس﴾ ، فلا بد وأن تكون حساسة في كل مرحلة من مراحل التاريخ.

الولاية ليست مجرد فكرة خاصة، وصناعة مذهبية، صنعتها طائفة معينة من أبناء الأمة. |الولاية: هي حالة قائمة في واقع البشرية، حالة قائمة موجودة عند كل البشر، حتى خارج الساحة الإسلامية، طبعاً نقصد بالمفهوم الأعم (حالة الولاية) بمعنى: ما من طائفة في هذه الدنيا، ولا من فئة في هذا العالم (من أبناء البشر) إلا ولها ارتباط بجهة معينة، برموز معينين ترتبط بهم على أنهم المصدر والجهة التي تقتدي بها، تتأثر بها، تستلهم منها تعاليمها وتوجيهاتها، تُقدس ما يقدم من جانبها من آراء ومن أفكار، وتعتبرها مسارها الذي تعتمد عليه

كمنهج، كمواقف، كمسار في الحياة، هذا شيء قائم حتى في خارج الساحة الإسلامية، يعني: بين اليهود، والنصارى، والوثنيين... كل البشر هم على هذا الأساس، وسواء كانوا أصحاب انتماء ديني (بالمعنى الشائع والمنتشر)، أو بغير ذلك، يعني: (طائفة، أو فئة)، كل فئات الدنيا لها رموز معينون، لها قادة، لها قذوات ترتبط بهم، تتأثر بأقوالهم، بأرائهم، بأفكارهم، وتعتبر أن المفترض بكل الناس أن يحذو حذوها في أن يرتبطوا بتلك الجهة التي آمنت بها، وآمنت بأفكارها وثقافتها وما تقدمه، ولهم مكانتهم وعظمتهم وأهميتهم؛ فهي حالة قائمة.

في الساحة الإسلامية كذلك، كل الطوائف الإسلامية، كل المذاهب الإسلامية لهم ارتباطات برموز معينين، ينظرون إليهم على أنهم هم أهل الحق، وأهل الحل، وأهل العقد، وأنهم من ينبغي أن تؤخذ أقوالهم، وأن يؤمن الآخرون بأفكارهم، وأن يتقبلوا منهم ما يقدمونه، وأنهم القادة والقذوة والأسوة، والذين يفترض الارتباط بهم من كل أبناء الأمة، والحذو حذوهم من كل المنتمين للإسلام... هذه حالة قائمة في الإسلام، في الساحة الإسلامية حالة حاضرة، وخارج الساحة الإسلامية حالة قائمة، فقط حساسية غريبة وعجيبة تجاه الولاية من المنظور القرآني، وعلى وفق ثقافة الغدير (ثقافة يوم الولاية).

هذه المسألة تحظى بحساسية من أكثر الأطراف، ويُنظَرُ إليها بتعقد كبير (عقدة عجيبة جداً)، على نحو يدخل فيه العصبية المذهبية، تدخل فيه إشكالات كثيرة وتعقيدات كثيرة؛ تؤثر على الكثير من الناس حتى في التحقق من هذه الثقافة، في التعرف على هذه المفاهيم، وأحياناً تنقل (أو تصاغ) مفاهيم أخرى، تحسب على الناس، وهم بريؤون منها؛ بهدف التشويه الكبير جداً.

على كلِّ، الولاية حسب ما قدمها القرآن الكريم في الآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مَرَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ

اللَّهِ هُمُ الْعَالِبُونَ ﴿[المائدة: ٥٥-٥٦]﴾، ثم في النص المرافق لها في حديث النبي "صَلَّوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى

آلِهِ" وبلاغه "صَلَّوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" نص يمكن أن نقول: نص نبوي توأم مع النص

القرآني، يعني: مترابط كل الترابط مع النص القرآني، على صلة وثيقة بالنص القرآني ومتشابه معه في التسلسل: ((إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا عَلَيَّ مَوْلَاهُ))، كذلك: ((اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ))، في مقابل ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

نأتي لننتحدث بقدر ما يسعنا الوقت ويتاح لنا إن شاء الله. النص القرآني واضح جداً، يتحدث عن الولاية باعتبارها ولاية الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، وهذه المسألة مهمة جداً؛ لأن العقدة والعصبيات المذهبية جعلت هذا المبدأ المهم والكبير في القرآن الكريم والإسلام العظيم، يهتمش إلى حد كبير، ويتعامل معه الكثير بتوحش ونفور وابتعاد، والكل يريد أن يمر عليه مروراً عابراً، كثير من المفسرين سرعان ما يحاول أن يتخلص منه، لم يحظَ بالاهتمام الذي يفترض أن نهتم به كمسلمين، بعيداً عن العقد المذهبية، والعصبيات الطائفية، والبلايا هذه، والمشاكل التي أثرت على الأمة، وحجبت عن الكثير نور الهداية.

ولاية الله في مدلولها الشامل

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، هذه الآية تتخاطب معنا، تعيننا نحن كل من ننتمي إلى هذا الإسلام، (الله هو ولينا)، فما هي هذه الولاية؟ ولاية الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" هي: ولاية شاملة، الله هو ولي كل هذا الكون، هو ملكه، هذا الكون هو ملك لله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" الله وليه: خالقه، وفاطره، ومالكة، ومنشئه، ومكوّنه، وبارئه... الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" ولي هذا الكون لا شريك له في ذلك، ولا يملك أحد غيره في هذا الكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا في أي جزء من هذا العالم؛ فله "جلّ شأنه" هذه الولاية: أولاً: أنه المالك لهذا الكون، وأنه "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" له ولاية الألوهية: هو وحده في كل هذا العالم المعبود بحق، لا معبود بحق إلا هو، وهو حصرياً يمتلك حق العبادة من كل الكائنات الفاهمة الواعية في هذا الكون، وله الملك على كل ما فيها من: (حيوان، وجماد... وغير ذلك)؛ فله ولاية الألوهية، وولاية الربوبية: أنه هو

وحده الرب "جلّ شأنه" رب السماوات والأرض وما بينهما، رب العالمين، وأن الجميع في هذا العالم- بلا استثناء- إنما هم عبيد له وملك له، ما هناك أحد يخرج عن هذه القاعدة: لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من البشر، ولا من الجن... ولا من أي كائنات في هذا الكون وفي هذا العالم، الكل مربوبون، الكل عبيد، وهو "جلّ شأنه" رب العالمين: المالك لهم، المربي لهم، المهيمن عليهم... فهو "جلّ شأنه" له ولاية الربوبية.

ثم، يبتني على هذا أنه "جلّ شأنه" الملك لهذا العالم: ملكوت السماوات والأرض كله بيده، تحت سلطانه، وتحت أمره وقهره، هو المهيمن عليه بكله؛ ولذلك هو "جلّ شأنه" المدبر لشئون السماوات والأرض، فله- أيضاً- ولاية التدبير القائم المستمر الذي هو فيه مستمر، كما يعبر في القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، لم يخلق هذا الكون ثم يتركه هناك، ويبقى متفرجاً عليه

إلى أين يتجه، وماذا يحصل فيه. إلا متصرف فيه على الدوام، (حي قيوم) حسب التعبير القرآني، حي قيوم: قائم على الدوام، بلا انقطاع، بتدبير وتصريف شئون هذا الكون بكل ما فيه: (يحيي ويميت، يخلق ويرزق، يعز ويذل...)، وهكذا تصرف شامل، (يكور الليل على النهار، يولج الليل في النهار...) تصرف مستمر لا ينقطع في تدبير شئون هذا الكون وهذا العالم؛ فهو "جلّ شأنه" الملك الذي لم ينقطع ولم يتوان أبداً (ولا لحظة، ولا طرفة عين) في تدبير شئون هذا الكون، يرعى فيه مصالح مخلوقاته بأكملها (بأجمعها)، ويحكم هذا الكون في الولاية التكوينية، وهو مكون هذا الكون بسننه التي لا يمكن أن يخرج عنها شيء في هذا الكون أبداً. هذه ولاية قائمة وولاية مستمرة.

ولاية الله.. بين النظرة الصحيحة والقاصرة والخاطئة

كيف ننظر في ساحتنا الإسلامية إلى الولاية الإلهية في امتداداتها الأخرى: (امتداد الهداية، امتداد التشريع، امتداد الإرشاد للعباد والتوجيه للعباد)؟ في ساحتنا البشرية، البشر دورهم في هذه الحياة، دورهم في هذا الوجود، دورهم في هذا الكون، دور بارز، دور أساسي، يختلف عن كثير من المخلوقات الأخرى التي لها دور محدود جداً، الدور البشري والدور الإنساني على الأرض: دور مهم من أجله سخر للبشر ما في السماوات وما في الأرض، من أجله حمل البشر

مسؤولية نأت وامتعت عن حملها السماوات والأرض والجبال، فكيف ننظر في الساحة الإسلامية إلى الولاية الإلهية في بقية الأمور، ثم نعود إلى المنظور القرآني؟

البعض في العالم الإسلامي يعتبر أن الولاية الإلهية- في الحد الأكبر- هي ولاية خدمية، يعني: لا يستحون من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" بمعنى: عندهم أن الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" معني في واقعنا كبشر، كعبيد له "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أن يخلق، وأن يرزق، أن يحيي، أن يميت، أن يشفي مرضانا، أن يمنّ علينا ويعطينا احتياجاتنا في هذه الحياة، وينتهي دوره هنا، ما يدخل في بقية شؤون حياتنا [ما عاد له حاجة، خلاص يبطل]، هذه نظرة البعض من المحسوبين على الإسلام، أن حدود الولاية الإلهية لا يتجاوز الدور الذي تعارف عليه البشر على أنه دور خدمي: يخلق لنا الأبناء، ويرزقنا بالأرزاق، ينبت لنا الأشجار، يمنّ علينا بالأمطار... وهكذا. الدور الذي تعارفنا عليه في واقعنا الحياتي على أنه دور خدمي.

البعض، لا بأس عندهم نظرة أوسع إلى الولاية الإلهية: أنها تتجاوز هذا الجانب، الذي هو: تلبية احتياجاتنا في هذه الحياة، تغطية احتياجاتنا في هذه الحياة، الإنعام علينا بما نحتاجه في هذه الحياة، الرعاية الإلهية في جانب الاحتياجات الإنسانية الخاصة بالطعام والشراب... وما إلى ذلك. إلى جانب آخر، وهو: التشريع، بمعنى: أنه يمكن لله "جلّ شأنه" أن يشرع لنا أيضاً باعتباره إلهنا، وأن يحلّ لنا شيئاً ويحرم علينا شيئاً آخر (يحلّ لنا الطبيبات، يحرم علينا الخبائث)، ويضاف إلى الرعاية المادية، الرعاية التشريعية: بأن يدلنا ويعرفنا [هذا حلال، وهذا حرام، احذروا من هذا، واعملوا هذا، هذا فيه خيرٌ لكم، وهذا فيه شرٌّ عليكم]، ولكن من دون أن يتدخل في أي آلية ضامنة للتنفيذ والانضباط ضمن شرعه ونهجه وتعليماته، فقط أشبه ما يكون لديهم بمستشار قانوني، يقدم، يقول: [هذا جيد، سابر، وهذا ما يصلح لكم] فقط، يعني: ما يتدخل في آلية التنفيذ، فيما يضبط عملية التنفيذ، فيما يرعى مسار الأمة ضمن النهج الذي رسمه لها، وهذا طرف لا بأس تقدم بخطوة إلى الأمام عن الطرف الذي لا يرى في الولاية الإلهية إلا الجانب الخدمي فحسب، ولا ينظر إلى أي اعتبار آخر، بل يتعاطى مع الله بوقاحة عجيبة.

ثم، كلا الاتجاهين يريان في مسألة القيام بما يعنيه أمر الأمة، القيام في تصريف أو في توجيه الأمة: العملية التوجيهية، العملية الإدارية في واقع الأمة، التي تبنى عليها السياسات،

والمسارات، والمواقف، وينظم على ضوئها واقع الأمة، أنه أمر ليس لله أي علاقة به ولا صلة به، وأنه ينبغي الحيلولة دون أن يتدخل في الموضوع نهائياً، وأن هذا أمر إلى الآخرين، مَنْ الآخرين؟ لنتأمل في واقع الأمة من كان هو البديل، من أتى؟ هذه الرؤية العبقريّة تمخضت عن مجيء من؟ هذه الرؤية أضاعت الأمة، هذه الرؤية العقيمة التي منشؤها أحقاد، ومنشؤها حسد، ومنشؤها بغضاء، ومنشؤها تعصب، ومنشؤها جهل، ومنشؤها غباء... فتحت المجال للجائرين، للظالمين، للفاستدين، للمستهترين، لأن يجيئوا هم؛ فيتبوؤوا هذا المقام، ثم لا ذاك بقي، الذي هو: الشرع في أحكامه، وفي منهجه، على حسب ما يفترض أن يكون قائماً في واقع الأمة، ولا المشروع الإسلامي في أبعاده الأخرى: جوانبه الحضارية، جوانبه التربوية، جوانبه الواسعة، شؤونه الواسعة المرتبطة بطبيعة الدور العالمي المفترض لهذه الأمة، كل هذا وذاك ذهب ضائعاً.

الرؤية الكهنوتية للولاية الإلهية

هذه الرؤية أتاحت المجال، وقدمت التبرير والشرعنة لأن يكون المعنيّ بإدارة شؤون الأمة الإسلامية (من هب ودب)، فقط يُمكن من الاستحواذ على واقع الأمة بقوة السلاح وإغراء المال، فمن تمكن أن يستحوذ على أمر الأمة، وأن يسيطر في واقع الأمة، مستنداً على قوة عسكرية وإغراء مادي، فكيف ما كان: [جاهلاً، جائراً، فاجراً، ظالماً، فاسقاً...] ما هناك عندهم مانع أبداً [يتفضل]، ويوجبون على الأمة كلها أن تطيعه شرعاً، وتصبح طاعته عملاً إيمانياً وعبادياً وقربة إلى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وتصبح مسألة تمكينه لممارسة هوايته في: الظلم، والبطش، والجبروت، والاستحواذ على أموال الأمة، وتكوين ثروة شخصية، وتحقيق أغراضه وأهوائه الشخصية- التي تكون المسألة الرئيسية بالنسبة له- تصبح مسألة مطلوبة شرعاً، وأنه أمر يجب التسليم به، والخنوع له، والخضوع له، والتقبل له!! هذه رؤية غريبة عجيبة جداً، ورؤية مسيئة إلى الإسلام؛ لأنهم- في الأخير- جعلوا الإسلام مطية للجائرين، والجاهلين، والفاستقين، والظالمين، والطغاة الذين ظلموا الأمة، والذين عبثوا بالأمة: أفقدوها قيمة الإسلام في مشروعه الحضاري، قيمة الإسلام في مشروعه التربوي، قيمة الإسلام في أثره العظيم

لإقامة العدل في الحياة، في النهاية كأن العدل ليس من مطالب الإسلام ومقاصد الإسلام، وكأنه أمر هامشي في الإسلام، وقدموا صورة مختلفة جداً عن المشروع الإسلامي كمشروع للحياة.

الرؤية هذه، نستطيع القول عنها: أنها تمثل الكهنوت بكل ما تعنيه كلمة (كهنوت)؛ لأنها أعطت سلطة مطلقة، لا ترتبط بضوابط ولا بقيم ولا مبادئ أبداً، للطغاة والجائرين، وأعطتهم شرعية دينية في ذلك، وكأن الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" (العظيم، والعزيز، والحكيم، والعدل) قد أعطاهم الشرعية والصلاحيات الكاملة لفعل كل ذلك في مقابل أن تخضع الأمة لهم، هذا هو الكهنوت، الحالة التي كانت قائمة لدى الغرب في أوروبا، في القرون الوسطى، في سلطة الكنيسة، كانت على هذا النحو: ناس يتصرفون بمزاجهم، برغباتهم، بأهوائهم، وعلى أساس أن لهم سلطة في هذا، أو شرعية دينية ليتصرفوا كيف ما يشاءون ويريدون، والآخرين عليهم أن يطيعوهم، وهم يستندون إلى هذا.

الرؤية القرآنية في ثقافة يوم الولاية (في ثقافة الغدير)، وفي النص القرآني، تقدم رؤية مختلفة وإيجابية وبنّاءة وعظيمة، ولا يفترض النفور منها، الذي يفترض أن تنفر الأمة منه هو تلك الرؤية: التي ينتج عنها تمكين الطغاة والظالمين والجائرين والجهلة، رؤية تمكّن من لا يمتلك أي معايير، أي مؤهلات، لأن يتربع على عرش الأمة، وأن يتدخل في كل شئون الأمة، وأن يكون هو المعني بكل أمر الأمة، هذه رؤية عقيمة، هذه الرؤية التي يجب أن نشمئز منها جميعاً؛ رؤية ألحقت الأضرار الفادحة بالأمة عبر التاريخ، وأوصلت الأمة الإسلامية في هذا العصر المهم، في هذا الزمن المهم جداً، إلى مستوى أكثر الأمم غنماً، وجهلاً، وتخلفاً، وضعةً، وسقوطاً، وتبعيةً للأمم الأخرى، وساقطة وضائعة تحت هيمنة أمم أخرى، وأقوام أخرى، واتجاهات أخرى، إلا القليل القليل في أوساط هذه الأمة؛ فهي الرؤية الغربية التي يفترض النفور منها، والاشمئزاز منها، والانتقاد لها، والاحتجاج الشديد جداً عليها بأشد ما يمكن أن يكون من العبارات والمواقف.

النظرة القرآنية للولاية الإلهية

الرؤية القرآنية، وفق ما ورد في سورة المائدة، والتي كانت من آخر السور نزولاً في القرآن الكريم، وفي الآيات التي كانت من آخر الآيات التي نزلت في سورة المائدة، ومنها هذا النص: ﴿إِنَّمَا وَكَيْكُمُ اللَّهُ وَمَرْسُولُهُ﴾، ولاية الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" مثلما هي ولاية الملك الحصري لهذا

العالم ب كله، وولاية الألوهية، وولاية الربوبية، هي- أيضاً- ولاية تشمل واقعنا نحن البشر؛ فنحن عبيده: (مفطورون، ومخلوقون، ومربوبون له؛ هو ربنا، ملكنا، إلهنا؛ وأوجدنا لهدف، ولمشروع، ولدور)، وولاية تشمل- بالتأكيد- الجانب التشريعي: هو الذي يمتلك الحق "جلّ شأنه" أن يقول لنا: [هذا حرام، وهذا حلال]؛ لأننا ملكه، وما بين أيدينا كله ملكه، ثم هو "جلّ شأنه" الذي له الحق؛ لأنه: (الحكيم، العليم، الخبير، الرحيم، القوي، العزيز...)، الذي له حق أن يتخذ أي قرار شاء، وإذا اتخذ قراراً ما، أو أمراً ما؛ فباعتبار عزته، وحكمته، ورحمته، ليس مجازفةً، وليس عن جهل، وليس عن تصرف غير حكيم، أو عشوائي... أو غير ذلك. |إلا| فإذا له ولاية علينا في التشريع: في أن يحل لنا، وأن يحرم علينا، وأن يفرض علينا، وأن يوجب علينا ما نعمل، وينهانا عما ينبغي أن ننتهي عنه... إلى غير ذلك.

ثم له "جلّ شأنه" ولاية علينا في أن يرعى شأننا: (في تدبير أمورنا، في إدارة أمورنا)، تمتد ولايته إلى هذا الجانب: (إلى جانب الهداية، إلى جانب الإرشاد)، هو "جلّ شأنه" من يقول في كتابه: ﴿اللَّهُ وَكِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ

النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٧]، ﴿اللَّهُ وَكِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ﴾ كيف، هل هناك ساحة في الدنيا ومربع فيه نور وآخر فيه ظلام؛ فيأتي ويخرجهم من

الساحة التي فيها ظلام (غدر، غبش)، ثم يذهب بهم إلى المربع الآخر، أو المنطقة الأخرى، التي فيها نور؟ النور، والظلام: كلاهما عبارة عن مفاهيم، عن عقائد، عن أفكار، عن تصورات، عن مشاريع عمل، فإما أن تكون الحالة الظلامية: مجموعة من الأفكار والمعتقدات، التي تبني عليها توجهات، وتبنى عليها أعمال، وتبنى عليها مواقف، يبني عليها مسار حياة.

وإما أن تكون تلك الحالة الأخرى، حالة النور كذلك: مفاهيم، أفكار، تعليمات، توجيهات؛ تبنى عليها توجيهات، تبنى عليها حتى المشاعر النفسية، وتبنى عليها - أيضاً- مشاريع عمل. هذه هي الحالة القائمة في حالة النور وفي حالة الظلام.

فالنور: عبارة عن مشروع ومنهج في هذه الحياة: (فيه المعتقدات، فيه التعليمات، فيه التشريعات، فيه التوجيهات)، هو مسار حياة، مرتبطة بواقع حياتنا، في كل شؤوننا. والحالة الظلامية هي: مجموعة من الأفكار الظلامية الخطيرة جداً، السيئة جداً، التي هي أباطيل وضلالات، التي تنحرف بالبشرية عن المسار الصحيح الذي يوصلها إلى رضوان الله ويحقق لها الدور الذي تشرف به وتسمو به في هذه الحياة، وتؤدي من خلاله دورها في استخلافها في الأرض ومسئوليتها في الأرض على أرقى مستوى.

رسل الله.. حَمَلَة مشاعل النور للبشرية

كيف يعمل الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في ذلك؟ عملية الإخراج هذه (من الظلمات إلى النور) كيف تتم؟ يرسل الله إلى عباده رسلاً، هؤلاء الرسل يأتون بهذه التعليمات، بهذه التوجيهات من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في كتب يأتون بها، يترافق مع ذلك: الدور العملي المباشر (مع ما يقدمونه، مع ما يبلغونه)؛ فالرسل والكتب هما: الثنائيان المتلازمان لمشروع الهداية الإلهية لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، تجمع وتأتي تلك المفاهيم، تلك التعليمات، تلك التوجيهات، المعبر عنها بالنور؛ لأنها تضيء لنا دربنا في هذه الحياة، ومسارنا في هذه الحياة، حتى لا نضيع ولا ننتيه، تأتي مع الرسل، قبل أن تكون مكتوبة تبلغ، وتكتب، وتوثق للبشرية، ويترافق معها نشاط ودور محوري ورئيسي، مثلاً: الرسول نفسه معني بعملية التبليغ: يكلم الناس، يبلغهم، يتلو عليهم من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى": (تلك التوجيهات، تلك المفاهيم، تلك التعليمات، تلك البصائر، تلك التوضيحات)، يترافق مع ذلك أن يكون هو معنياً إلى حد كبير، ومرتبطاً بشكل رئيسي ومحوري- بتلك التعليمات، يكون هو: أول من يفهمها، من يستوعبها، من يؤمن بها، من يتأثر بها، من يجسدها، من يطبقها، من يلتزم بها، من يمثل القدوة في أدائها، من يرعى في النشاط العملي، والسعي العملي في الواقع البشري: العمل على إقامتها، على توجيه الناس في إطارها، على تحريك الناس من خلالها، على تفهيم الناس بها؛ حتى لا يفهموها الفهم

الخاطيء، أو الفهم الناقص، أو الفهم القاصر، يعمل على دفع الناس للالتزام بها، على مواجهة كل التحديات التي تعترضها؛ لأنه يحصل ردة فعل في الواقع البشري،

يأتي من يعارض هذه التوجيهات، من يحارب هذه التعليمات، من يتصدى لهذه المفاهيم، من يناقش، من يجادل، من يسعى لإبطالها وإنكارها والتكذيب بها، أو العمل بطريقة أخرى إذا فشلت حالة التكذيب، وفشلت حالة الرفض لها، والتصدي لها، والإنكار لها جملةً وتفصيلاً، وانتصرت هذه الرسالة الإلهية فيما فيها: (من مضامين، من توجيهات، من تعليمات، من مفاهيم، من توضيحات، من أفكار، من تصورات، من عقائد)، يعني: بالنسبة لنا تصبح هكذا (حالة قائمة في واقعنا)؛ يأتي مخاطر وتحديات أخرى: احتوائية من جانب المبطلين، عملية تحريف للمفاهيم، إما من خلال افتراء نصوص جديدة تضاف وتحسب، وإما من خلال تحريف للمعاني التي حملتها النصوص المقدمة للأمة، والتوضيحات المقدمة للأمة في كتب الله، وفي حركة أنبياء الله ورسول الله.

فهذه العملية: هي عملية إخراج من الظلمات إلى النور، الأفكار الظلامية، العقائد الظلامية، المفاهيم الظلامية، التصورات الخاطئة التي يبني عليها مواقف، يبني عليها أعمال، يبني عليها تحرك في الحياة، تصبح منهجاً يلتزم به هنا وهناك الكثير من الناس، ويتعصب له الكثير من الناس، وتصبح عقائد يتشبث بها الكثير من الناس؛ يأتي الرسل والأنبياء بهدي الله، بنور الله، بوحى الله، بكلمات الله، بكتب الله، وضمن نشاط تبليغي وعملي وتربوي وحركة واسعة: يبلغون، يجاهدون، يربّون، يقاتلون، يهاجرون، يعانون، يضحّون، يُكوّنونَ هم في أدائهم الحركي والعملي الحالة التي تجسد تلك التعاليم، تطبّق تلك التعاليم، تحوّل تلك التعاليم إلى حالة عملية وحياتية قائمة في الواقع، جهد كبير ورئيسي، يعني: ليست العملية التي يكلف بها الأنبياء عملية إذاعية، كالشخص الذي هو مذيع، مذيع في التلفزيون أو في إذاعة، [ما بلا با يقرأ الخبر: بلغنا للتو، وصلنا للتو خبر عاجل (لا لا لا)، ويقوم يقرأ البلاغ، وخلص انتهت المهمة، وهو ذلك المذيع الذي سينتظر خبراً آخر يقدمه وخلص اكتمل الموضوع!]، [لا| الأنبياء ليسوا مذيعين على منصات إذاعات أو تلفزيونات، [لا| دور رئيسي وكبير جداً في الساحة العملية، هو يحمل هذا المشروع كمشروع حياة، يأتي يتحرك في الساحة على أساسه، يربي الناس على

أساسه، يفهم الناس من خلاله، يغير الكثير من المفاهيم، يحدث تغييراً كبيراً في الساحة البشرية، في العادات، والتقاليد، والمفاهيم، والتصورات، والمواقف، ويتجه بالناس ضمن مسار عملي ومشروع حياة يتحرك فيه.

ولاية الرسل امتداد لولاية الله

هذه عملية إخراج الناس من الظلمات إلى النور ضمن الولاية الإلهية، بمعنى: أن واحداً أو جانباً رئيسياً من مفهوم الولاية الإلهية مثلما هو خلق، مثلما هو رزق، مثلما هو أحياء وأموات، مثلما هو يدبر شؤون هذا الكون على نحو مستمر في حركته الكبرى: حركة النجوم، وحركة الأقمار، وحركة الشمس، وحركة الأرض، وما في الأرض من كل التصرف الإلهي في الإحياء والإماتة والخلق، وكل العملية التكوينية والتدبيرية الواسعة جداً في هذا الكون، جانب آخر من ولايته هو هذا الجانب: ﴿وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. هذا المشروع يقوم

عليه الأنبياء يؤدون دورهم، ولهذا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، يراكم رعاية شاملة، رعاية الملك والتصرف، رعاية الألوهية، رعاية الربوبية، رعاية التشريع، رعاية الهداية، رعاية النصر، رعاية التأييد، رعاية شاملة تشمل كل نواحي ومناحي حياتكم.

﴿وَمَرْسُولُهُ﴾ امتداد لهذه الولاية في واقعها البشري، من خلال حركة الرسل والأنبياء في تبليغ

هدي الله، وتعليمات الله، ومنهج الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" والدور الذي يقومون به في إطار الحركة التبليغية، وهو دور عملي يحتم الله فيه طاعتهم؛ لإنجاح ذلك المشروع، ولتحويله إلى حالة قائمة

في الواقع البشري، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: من الآية 64]، [ما هو مجرد فقط موعظ

والا مُخْبِر]، يعني صاحب أخبار، صاحب تحرير صحفي، محرر الأخبار ويبلغها، أو مذيع،

|ال| ﴿لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ﴿النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: من الآية 6]، ﴿أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، له

هذه الولاية التي هي امتداد للولاية الإلهية ضمن هذا المشروع الإلهي، يبقى هو عبداً خاضعاً لله

"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" يبقى في الواقع الذي يقول فيه، كما علمه الله أن يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ﴾

﴿إِلَى﴾، يعني: لا يمتلك سلطة التصرف المزاجي. |لا| لا يمتلك أن يتصرف في الناس كما يريد، كما هي الحالة الأخرى في الفكرة الثانية في مفهوم الولاية بالمفهوم الآخر، ولاية أمر الناس بالمفهوم الذي يحارب ثقافة الغدير، ومفهوم الولاية وفق النص القرآني في ثقافة يوم الولاية، يعطون الجائر والمستكبر الظالم، يأتي [بعم] جاهل ما يمتلك أي معرفة، أحياناً يحتاج إلى فريق حوله، يعلمونه ويبدلون جهداً كبيراً عليه كيف يستطيع أن ينطق، كيف يستطيع أن يقرأ من ورقة، كيف يستطيع أن يتعامل مع الناس التعامل الروتيني... ويحتاج جهوداً مضنية جداً جداً في ذلك، جاهل لا يمتلك أي معرفة، لا دينية ولا غير دينية، ويكون في نفس الوقت إنساناً متسلطاً، جباراً، لا يمتلك الرحمة ولا الرأفة، وليس لديه أي مشروع للأمة نفسها، مفهوم الولاية عنده التسلط على الناس، وممارسة حالة التسلط بما يرتكبه من مظالم وجرائم، وما يجمعه من ثروات، هذا مفهوم الولاية، ثم يعطونه مع ذلك وجوب الطاعة، وجوب الإذعان، وجوب الاستجابة له، والخضوع التام له.

الأنبياء ليست الحالة عندهم هذه الحالة، النبي وهو النبي، لا يمتلك سلطة مطلقاً يتصرف فيها بمزاج أو هوى، إنما يتحرك كعبد لله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" هو أول المؤمنين بنهج الله، أول المسلمين، عليه كل الالتزامات الدينية، وأحياناً عليه التزامات أكثر من بقية المسلمين، بل مستوى الالتزام عليه أكثر من مستوى التزامهم حتى في الالتزامات المشتركة، وعليه التزامات إضافية بحسب مهمته ودوره، الحرام حرام عليه، الحلال- كذلك- حلال له، الاستثناءات التي تكون بالنسبة له استثناءات تتعلق بمهمته الصعبة والكبيرة، وعليه التزامات إضافية أكثر مما على الأمة، وهو ذلك الذي هو عبد لله، خاشع لله، خاضع لله، ملتزم بنهج الله، مستقيم على أمر الله وتوجيهات الله، فيقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الأعامر: من الآية ١٠٦]، ﴿وَاتَّبِعْ مَا

يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: من الآية ١١٢] لا تحد أو تتحرف عن هذا النهج أبداً، ويبقى هو

في مقدمة المؤمنين هو ذلك الأكثر التزاماً، الأكثر طاعةً، الأرقى والأعظم عبوديةً لله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" لا يتفرعن، ولا يتجبر، ولا يطغى، ولا يتكبر على عباد الله. لا، هو القدوة في التزامه الديني، القدوة في التزامه بنهج الله وشرع الله، وخضوعه لأمر الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وهو في نفس الوقت الذي يحمل من مشروع الله، من نهج الله قيمه في الرحمة، والحكمة، وإرادة الخير للناس على أرقى مستوى، فلا أحد يصل إلى مرتبة الأنبياء في رحمتهم بالناس، في عطفهم على الناس، في حنوهم على الناس، في حرصهم الكبير، وأن يعزّ عليهم ما يلحق بالناس من ضرر، ولو أدنى ضرر.

هذه الولاية بمفهومها العظيم، كيف ننفر منها؟! كيف يقول البعض: |ال| |ال|، لا نريد هذا المفهوم أبداً، نريد المفهوم الآخر، نريد مفهوماً يفتح المجال ويفتح كل الأبواب لكل جائر وظالم وطاغية ليأتي على عرش الأمة ويدوسها بحذائه، ويركعها لجبروته وطغيانه، ذاك هو المفهوم المريح بالنسبة للبعض!

ولاية الإمام علي امتداد لولاية النبي الأكرم

هذا المفهوم الآخر (المفهوم القرآني)، مفهوم ثقافة يوم الولاية، قدّم الإمام علياً "عَلَيْهِ السَّلَامُ" من موقعه الذي جعله الله فيه، والذي وصل إليه بإرادة إلهية، وتربية إلهية، وتربية نبوية، بمعايير إيمانية، باعتباره في هذه الأمة بعد نبيها أرقى هذه الأمة في كماله الإيماني ومستواه الإيماني، وارتباطه بالمشروع الإلهي: من حيث العلم بهذا المشروع والمعرفة، من حيث الارتباط العملي والالتزام الحياتي بهذا المشروع الإلهي، ومن حيث الانتماء عليه، ومن حيث التخلق بأخلاقه، ومن حيث-كذلك- الالتزام بقيمه ومبادئه، علي كان في هذا المستوى في واقعه في الأمة، كان في هذا المستوى، ويأتي لهذا الدور امتداداً لنبي الله، لأنه ما بعد الأنبياء هل انتهت المسألة؟! هل تنتهي ثمرة هذا النهج الإلهي، هل يغلق الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" كل نوافذ النور هذه ويترك المجال للظلمة لتطغى في واقع البشرية؟ هل نافذة النور تغلق عندما يعرج بروح نبي من الأنبياء؟ والنبي محمد هو خاتم النبيين [خلاص انتهى الموضوع، يجلس الباقي في الظلام إلى قيام الساعة]؟! |ال| لا بد من الاستمرارية لهذا المشروع، ولهذا النهج الإلهي.

ما بعد النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ": ﴿وَمَرْسُولُهُ﴾، يأتي النص القرآني ليقول: ﴿وَالَّذِينَ

آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُرَاعِبُونَ﴾، مقدماً للإمام علي "عَلَيْهِ السَّلَامُ" ضمن

مواصفاته الإيمانية الراقية، ليأتي التقديم له في البلاغ النبوي في يوم الغدير ضمن تشخيص واضح بالاسم، ((فَهَذَا عَلِيٌّ))، وبالإشارة إليه باسمه وشخصه، ماسكاً بيده، ومقدماً له من فوق أقتاب الإبل، ((فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ)).

ثقافة الغدير تقفل الباب في وجوه الطغاة والمتسلطين

الإمام علي "عَلَيْهِ السَّلَامُ" يستمر في هذا الدور ما بعد النبي "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، وهو دور مهم، ودور أساسي في مرحلة العادة القائمة هي حالة اختلاف بعد كل نبي من الأنبياء، وحالة نزاع بين أمته، فهل تترك هذه الأمة لتتنازع وتختلف، وتتفرق في دينها، في مفاهيم هذا الدين، أيّ منها يمثل الامتداد الحقيقي للنهج الإلهي، المفهوم الصحيح، والتعريف الصحيح، والمدلول الحقيقي للنصوص؟ |لا| بعد رسول الله "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، ((فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ)).

تُقْفَلُ ثقافة الغدير كل الأبواب على كل الجائرين والمتسلطين والطغاة؛ لأنها قدّمت النموذج، وقدّمت للأمة ما يحفظ لها ويضمن لها أصالة الامتداد للنهج الإلهي بعد رسول الله "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ" إن اختلفت الأمة، أو تباينت، أو تفرقت بعد النبي، مَنْ يوصلنا إلى هذا النبي؟ ها نحن اليوم بعد أجيال تلو أجيال من عصر النبي إلى اليوم، أمتنا تفرقت، أمتنا اختلفت، أمتنا تباينت في أكثر أمورها المتعلقة بهذا النهج الإلهي، إلى مَنْ نتطلع؟ هل تركنا هكذا ضحية في مرحلة من أهم مراحل التاريخ؟ أم أن هناك امتداداً لهذا النهج في أعلامه، في رموزه المؤتمنين؟ النبي حسم المسألة.

ولهذا لاحظوا، الشيء الذي كان طبيعياً أن يحصل بعد حجة الوداع، وأثناء حجة الوداع، والنبي يخبر أمته أنه يوشك أن يدعى فيجيب، وأنه على وشك الرحيل من هذه الحياة، هو أن تكثر التساؤلات حول هذه المسائل بين أوساط الأمة، وأن تسخن الاقتراحات والنقاشات

والمداوولات، فماذا بعد وفاته؟ كيف؟ ماذا سنفعل؟ ماذا سيحصل؟ لكن النبي لم يترك مجالاً لأن تتشغل الأمة بالتساؤلات والجدل والنقاشات والاقتراحات... الخ. |إلا| حسم المسألة، وأوضح الحجة والمحجة لله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" من خلال هذه النصوص، وما سبقها من نصوص كثيرة ومهمة وواضحة، فُقِّدَ لنا ضمن مفهوم هذه الولاية المفهوم الذي يضمن الامتداد الأصيل لمنهج الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" ويحدد لنا النموذج الأعظم والأرقى في الأمة الذي يمكن أن تكون الأمة متطلعةً إليه على الدوام؛ لتعرف من هم رموزها الذين ينبغي أن تلتف حولهم، أن تنتهج نهجهم، أن تأمنهم في تجسيدهم لقيم الإسلام وأخلاقه، وفي تقديمهم لمفاهيم الإسلام ومدلول نصوصه، هؤلاء هم ((فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ)).

ثم تطلع إلى الإمام علي في زمن النبي، في حياته مع رسول الله تلميذاً يربيه النبي "صَلَّواتُ اللهِ عَلَيْهِ وَوَعَلَى آلِهِ" ويعلمه، ودوره في تلك المرحلة مع رسول الله "صَلَّواتُ اللهِ عَلَيْهِ وَوَعَلَى آلِهِ" وفيما بعد رسول الله إلى حين استشهاده، ترى فعلاً ما فيه أيضاً شواهد واضحة على تلك النصوص، ومصاديق عملية وحقيقة لتلك النصوص التي تحدثت عنه.

ولاية الإمام علي "عَلَيْهِ السَّلَامُ" لم تكن مجرد ولاية سلطة انتهت باستشهاده، بل ولاية اقتداء واهتداء، تبقى الأمة مرتبطة بها على مدى الزمن في كل الأجيال، تبقى الأمة معنية بالالتفاتة الدائمة إلى علي "عَلَيْهِ السَّلَامُ" لتستفيد من علي، كيف كان علي هذا في كل مراحل حياته، وفي كل مراحل دوره الكبير في الإسلام؟ وهذا الموضوع يأتي فيه الأخذ والرد، والنقاش، والحديث في مقامات كثيرة جداً لا تتسع له محاضرة.

الإسلام الأصيل منهج للخلاص

عموماً، نحن في هذا اليوم العظيم، وفي هذه المرحلة التاريخية التي نعيشها كأمة إسلامية تواجهنا الكثير من التحديات، والكثير من الأخطار، ما يحدث اليوم عندنا في اليمن، ما يحدث في بقية المناطق في العالم الإسلامي والساحة الإسلامية، بحاجة إلى أن نلتفت إلى أصالة الإسلام في منهجه، في قيمه، في رموزه، فنرى فيه النور الذي يخلصنا من كل الظلمات، والذي ينقذ أمتنا من كل المحن، والذي يصحح لها واقعها في كل ما فيه من التباسات وأخطاء

ومشاكل واضطرابات... الخ. معنيون أن نتعاطى بمسؤولية فوق كل شيء، أن نترفع عن كل العصبية، العصبية داءٌ جاهليُّ بقي في داخل الأمة، وأثر على الأمة كثيراً حتى في نظرتها إلى القرآن، إلى الرسول، إلى المفاهيم الإسلامية، معنيون اليوم أن نسعى إلى جمع كلمتنا على التقوى، على القيم الإسلامية الأصيلة، إلى معالجة كل المشاكل والمحن التي نعاني منها في واقع أمتنا الإسلامي.

الأنظمة العميلة والموقف المخزي!

اليوم كلنا يرى، من يشاهد، من يتابع، من يحمل الاهتمام لمعرفة واقع الأمة الإسلامية، إلى جانب ما في داخل الأمة وفي ساحتها الداخلية من محن ونكبات وويلات ومأس، نرى ما يحصل بحق المسلمين في بورما من مجازر الإبادة الجماعية والشاملة، والاضطهاد الكبير، وما يمكن أن يحصل في بلدان أخرى، وحصل في السابق في مناطق أخرى من العالم، المسلمون أمة مستهدفة، أمة مستهدفة بكل ما تعنيه الكلمة، ولا يضمن لهم أن يكونوا أقوياء في مواجهة كل التحديات والأخطار الرهيبة التي تستهدفهم؛ إلا أن تجتمع كلمتهم على الحق، وأن يعودوا إلى أصلاتهم، أمة تتوحد، وتعتصم بحبل الله جميعاً، ثم تتحرك في مواجهة تلك التحديات والأخطار.

اليوم أين تلك الأنظمة التي تُقدِّم نفسها على أنها هي المؤتمنة على الأمة الإسلامية، والممثلة للإسلام والمسلمين؟ أين هو النظام السعودي، وأين هو النظام الإماراتي، مما يحدث على المسلمين في بورما؟ أين هم؟ أين موافقهم؟ أين دورهم الذي يمنع هذا الظلم، تلك الإبادات الرهيبة بحق المسلمين هناك؟ إبادات شملت عشرات الآلاف منذ بدايتها إلى اليوم، عشرات الآلاف من المسلمين قتلوا هناك بالذبح وبالحرق، وبوسائل الإبادة الجماعية، إبادات وجرائم تحدث هناك بحماية أمريكية، وتشجيع أمريكي، الأمريكي يعلن أنه يرفض حتى اللوم للسلطة المجرمة هناك في بورما التي ترتكب بحق المسلمين ما ترتكب من جرائم، يقول الأمريكي: [أنا أرفض حتى أن يلام من يرتكبون هذه الجرائم]، إسرائيل تزود السلطة والبوذيين في بورما بالأسلحة لإبادة المسلمين، والآخرين يأتون ليرتبطوا بأمرىكا كل الارتباط بعد أن ابتعدوا عن الولاية في مفهومها الإسلامي الصحيح، أتو ليرتبطوا بالولاية للأمريكي؛ **فيفتحوا** له المجال

للتدخل في كل شؤون أمتنا بلا استثناء، اليوم الأمريكي يتدخل في كل شؤوننا في الساحة الإسلامية، شؤوننا السياسية، وشؤوننا الاقتصادية، وشؤوننا الثقافية، شؤوننا الفكرية، شؤوننا الاجتماعية، في كل تفاصيل حياتنا، وفي كل شؤون حياتنا، ويصوغ برنامجاً يأخذ من الإسلام شكليات معينة، ثم يكون في واقع الحال على النحو الذي تحقق من خلاله مصالح أمريكا فوق كل اعتبار، فوق كل شأن، فوق كل مسألة. المسألة الأولى والرئيسية تكون على هذا النحو، هي هذه النتيجة في الأول: فُتِحَ المجال للجبارين والجائرين والظالمين، ثم ولاية الأمر اليهودية والصهيونية والأمريكية، لتكون هي من يحكم واقعنا.

نحن لا يسعنا في هذا المقام أن نتحدث عن كثير من التفاصيل المتعلقة بالوضع في بلدنا، والوضع في منطقتنا، لكن لنا كلمة قريبة إن شاء الله في الأيام القادمة نتحدث فيها عن كثير من المسائل المهمة.

قبل الختام.. نقطة مهمة!

يبقى لنا أن نتحدث عن واحدة من المسائل المهمة في هذه الكلمة، وهي فيما يعيننا في وضعنا الداخلي في اليمن:

أنا أؤكد لشعبنا العزيز، وكذلك في هذا الشعب للوجاهات والحكام والعقلاء والنخب أن وحدتنا الداخلية في هذه المرحلة بالذات، وتماسك جبهتنا الداخلية في هذا التوقيت بالتحديد مستهدف بشكل كبير، وأن هناك سعياً مكثفاً من قوى العدوان على ضرب وحدة صفنا وتماسك جبهتنا الداخلية؛ بغية التسهيل للأعداء مهمة الدخول إلى هذا البلد، واحتلال هذا البلد، هناك جهد كبير، وهناك تأثير - إلى حد ما - في بعض القوى، بعض القوى التي نُقِلَ عليها وكُبرَ عليها شرف التصدي للعدوان، فكأنها ترى فيه شرفاً أكبر من رصيدها في الماضي.

نحن إن شاء الله سنتحدث عن كثير من الأمور المهمة، فيما يعني واقعنا في هذا البلد وفي المنطقة في كلمة قريبة.

نَسْأَلُ اللَّهَ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أَنْ يُؤَفِّقَنَا لِمَا يُرْضِيهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَلَّاكَ، وَنَتَوَلَّى رَسُوكَ، وَنَتَوَلَّى الْإِمَامَ عَلِيًّا "عَلَيْهِ السَّلَامُ"، وَنَتَوَلَّى أَعْلَامَ الْهُدَى
أَوْلِيَاءَكَ، وَنَبْرًا إِلَيْكَ مِنْ أَعْدَائِكَ، مِنْ كُلِّ الظَّالِمِينَ، وَالْجَائِرِينَ، وَالْمُسْتَكْبِرِينَ، وَالْمُفْسِدِينَ،
فِي الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛